

المبحث الأول

اللغة الشعرية

تعد اللغة الشعرية (أعظم عنصر في صياغة القصيدة في الآداب الإنسانية جميعها، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري، ومن لبناتها تبنى المعمار الفنية التي تتأزر على إبداعها مجموعة عناصر نفسية وجمالية معقدة)⁽¹⁰⁰⁾.

وبناء على ذلك فإن اللغة في الشعر ليست وسيلة للتعبير عن أي شئٍ كما هو الحال بالنسبة للعلم، وإنما هي غاية في حد ذاتها. والشاعر المبدع هو الذي يستطيع استثمار خصائص وإمكانات لغته التي يعبر بها بوصفها مادة بنائه، فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أو ثق من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إحياء بالمعاني التي يرمي إليها في لغته التصويرية الخاصة به⁽¹⁰¹⁾.

ولا نريد أن نطيل الحديث عن اللغة ودورها في صياغة العمل الأدبي والذي يعنينا هنا هو الوقوف على اللغة التي حملت تجارب شاعرنا الوطنية.

وإذا أمعنا النظر في اللغة التي جسد العلاف بواسطتها تجاربه الوطنية فإننا سنقف على تنوعها من حيث الشدة والجزالة، والرقعة

والسهولة. ولعل السبب في ذلك التنوع الواضح في لغة الشاعر راجع لطبيعة الموضوعات التي عالجها، وتعدد المواقف التي عبر عنها. فهو في شعره الذي يستهض فيه هم أبناء وطنه، ويحفزهم فيه على الإسهام الفاعل في النهوض بالوطن، وفي فخره وإشادته بما تحقّق - بعد ذلك - من نهضة وتطوير، نجده يعتمد على ألفاظ جزلة قوية الجرس، قادرة على هزّ المتلقي هزّاً والتأثير فيه، وعكس ما يثور في وجدانه من مشاعر وأحاسيس وطنية صادقة.

ومن نماذج ذلك ما جاء في قوله مذكراً معاشر الشباب بحاجة وطنهم لهم في رحلته صوب المجد والرفعة، ومحذراً لهم من الخمول والكسل و إنفاق أوقاتهم في اللهو واللعب (102)

عَهْدُ اكْتِمَالٍ تَدَاعَى فِيهِ نُقْصَانُ
 مَهْدَجِ النَّضْجِ فِيهِ النَّشْءُ حَيْرَانُ (103)
 نَعَمَ الشَّبَابُ طُمُوحِ النَّفْسِ يَحْفَظُهُ
 إِلَى الذُّرَى خَافِقُ بِالْمَجْدِ نَشْوَانُ
 يَا أَيُّهَا النَّشْءُ حُوضُوا فِي دَخَائِلِكُمْ
 وَقَلِّبُوهَا فَإِنَّ الْبَحْثَ مِعْوَانُ
 لَا يُسْعِدُ النَّفْسَ أَمْرٌ مِثْلَ خِبْرَتِهَا
 بِذَاتِهَا: إِنَّهَا لِلنُّجْحِ عُنْوَانُ
 أَرَى حُمُولاً وَضَعْفاً فِي عِزَائِمِكُمْ
 أَرَى اضْطِرَاباً وَيَشْكُو الْبُؤْسَ عِرْفَانُ

بِلاذِكُمْ تَبْتَغِي شَتَّى مَرَاغِبِهَا
وَعِيَاءُ يُعَانِقُهُ عَزْمٌ وَ إِتْقَانُ
وَلَيْسَ يُقْنَعُهَا فَرْدٌ كَفَاءَتْهُ
شَهَادَةُ مَالِهَا فِي النَّفْسِ بُرْهَانُ
لَا تَهْدِرُوا الْوَقْتَ وَارْعُوا حَقَّ حُرْمَتِهِ
فَعَصْرُكُمْ سُرْعَةٌ وَالْبُطْءُ خِذْلَانُ
لَتُسْأَلَنَّ عَنِ الْأَيَّامِ مُدْبِرَةً
مَتَى احْتَوَاكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مِيدَانُ

فالعلاف يسعى في هذه الأبيات إلى إشعال فتيل همم شباب
وطنه، ودفعتهم إلى العمل الجاد، واستثمار طاقاتهم ومواهبهم،
وتسخيرها فيما يعود عليهم بالفائدة والذكر الحسن. وجميعها
معاني قوية تتطلب أفاضاً وتراكيب تلائمها، وقد وفق كثيراً في
الاعتماد على طائفة من الألفاظ القادرة على حمل معانيه تلك
وتوصيلها، ومن ثم إحداث الهزة التي سيفيق على إثرها شباب
وطنه من غفلتهم، وليس أدل على ذلك من الألفاظ (مهدج، النضج،
طموح، الذرى، بالمجد، خوضوا، النُّجج، اضطراباً، لاتهدروا....).

فهي ألفاظ فخمة، قوية الجرس، تفرع سمع المتلقي قرعاً،
وهي بعد ذلك قادرة على أداء دورها الدلالي في أبهى صورته،
وتتلاءم مع طبيعة الموقف الذي عبر عنه الشاعر.

وتزول تلك القوة وتختفي في كثير من شعره الذي دار حول التغنى ببعض مدن وطنه ومظاهر الجمال فيه، أو الذي دار حول تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى شباب وطنه، وتعديل ما اعوج فيهم من سلوك.

ومن نماذج استخدامه الألفاظ السهلة الرقيقة، قوله مجسداً ما يتمتع به (الشِّفا) من مناظر وأجواء آسرة، تبعث الراحة في النفوس، والبهجة في الأحداق (104):

وَيَوْمٍ بِالشِّفَا حُلُوِّ الشِّفَاءِ
تَلَقَّانَا بِمَخْتَلَفِ الهِنَاءِ (105)
لَجَّانَا مِنْ تَهَامَةٍ نَرْتَجِيهِ
فَأَهْدَانَا مَجَاوِرَةَ السَّمَاءِ
وَشَدَّ رَيْبُهُ فِي الصَّيْفِ حَتَّى
تَمَيَّزَ بِاللِّطَافَةِ وَالصَّفَاءِ
تَرَى أَنْفَاسَهُ فِي الصَّخْرِ تَسْرِي
فَتَنْعِشُهُ وَيَجْهَرُ بِالنَّمَاءِ
كَأَنَّ الشَّمْسَ فِيهِ عَلَى حَيَاءِ
تَمُرُّ وَعَكْسُهَا بَدْرُ الْوَفَاءِ
وَلِلْأَطْيَارِ وَالْأَعْنَابِ نَجْوَى
مُحَمَّلَةٌ بِأَشْوَاقِ الشِّتَاءِ

وللفاباتِ سِحْرٌ ذو جلالٍ
كألويةٍ تَرَامَتْ في الفِضَاءِ

فالألفاظ التي حفلت بها هذه الأبيات تكاد تهمني رقة وسلاسة
وعذوبة، وهي ملائمة أشد ما تكون الملاءمة لجمال ورقة الأجواء
التي عني الشاعر بالتعبير عنها وتجسيدها، وللقارئ أن يصغي
لوقع الألفاظ (الشفاء، الهناء، أهدانا، السماء، ربيعها، اللطافة،
الصفاء، أنفاسه، تسري، حياء، نجوى، أشواق، سحر)

فجميعها ألفاظ سهلة، رشيقة الجرس، قادرة على تجسيد
الأجواء الفاتنة التي تميز (الشفاء) عن غيره، و الإيحاء بها وفي
الوقت ذاته عكست مشاعر البهجة والسعادة التي يحسها العلاف -
وغيره -عندما تقوده خطاه إلى ذلك المكان.

وفي تصديه لداء الكبر ممثلاً في أحد المتجلببين به من أبناء
وطنه، نجده يعتمد على ألفاظ سهلة مألوفة قادرة على الوصول إلى
ذلك المتكبر والتأثير فيه . حيث يقول (106):

أَخِي مَنْ أَنْتَ خَبَّرَنِي
فَقَضُّكَ كُنْهُهُ سِرٌّ
وَلَا تَبْخَلْ بِتَرْجَمَةٍ
عَلَى مَنْ عَجَزَهُ عُنْزٌ



وَلَا تَحْسَبْ مُنَاشِدَتِي

بِيَانِكَ أَنَّهَا مَكْرٌ

وَأَنَّ غَبَاوَتِي زَيْفٌ

بِهِ يَتَسَتَّرُ الْخُبْرُ

وَسَامِحْنِي عَلَى جَهْلِي

بِقُدْرِكَ أَيُّهَا الْوَتْرُ

وَلَا ضَاقَتَكَ خَاطِرَةٌ

لِسُوءِ الظَّنِّ تَضَطَّرُّ

فالألفاظ (أخي، خبرني، كنهه، سر، لا تبخل، عذر، مناشدتي، مكر، زيف، يتستر، سامحني، جهلي...) تتسم بالسهولة والألفة، وقد وفق العلاف باعتماده عليها في التواصل مع ذلك المتكبر وأبناء وطنه قاطبة. وواضح أن العلاف قد أدرك بأن التصدي لبعض الأدوات والعيوب الاجتماعية، وتصحيح المعوج من السلوك والقيم، يحتاج من الشاعر أن يخاطب قارئه بألفاظ لا تغرب عن ذوقه وعصره الذي يعيش فيه، ولا تمجها نفسه لو عورتها وغرابتها.

إلا أن ذلك الحرص من العلاف على الاقتراب من أبناء وطنه قد مهد السبيل لتسلل بعض الألفاظ والعبارات الشائعة التي فقدت وهجها إلى نسيجها الشعري. وقد ترتب على ذلك اصطباع عدد من قصائده الوطنية بالتقريرية والمباشرة (107).

ومن النماذج التي يمكن الاستشهاد بها على ذلك قصيدته (أعماق العروسين)، ومنها قوله (108):

جَمَالُهَا فَوْقَ عَادِيٍّ يَرْشُحُهَا

مع العفافِ لِدُنْيَا لَا تُحَابِيهَا

وِظِيفَةٌ لَأَكْتِسَابِ الْعَيْشِ دَارِجَةٌ

أَوْ خَاطِبٌ مِثْلَهَا قَدْ رَقَّ تَشْبِيهَا

مِنْ قَبْلِ عِشْرِينَ وَالْأَحْلَامُ وَافِرَةٌ

يَقْضَى تَشَاغُلُهَا قَدْ جَاءَ هَاوِيهَا

مَا كَانَ فَارِسُ أَحْلَامٍ يُحَقِّقُهَا

كَمَا اسْتَهَتْ كُلُّ أَنْثَى فِي تَمْنِيهَا

هُوَ الْفَتَى يَبْتَغِي صَوْنًا لِبَيْضَتِهَا

مَقْبُولُ شَكْلِ وَ يَرْجُو حَظَّهُ فِيهَا

وَوَضَعَهُ كُلَّهُ لِاعْيَابِ يَزْعِجُهُ

إِلَّا التَّوَاضَعُ مِنْ بُؤْسَى يُوَارِيهَا

ففي هذه الأبيات سهولة مفرطة، جاءت من نوعية العبارات والتراكيب التي اعتمد عليها الشاعر، و للقارئ أن ينظر في التراكيب التي احتشدت بها الأبيات السابقة، من مثل (جمالها فوق عادي، وظيفه لاكتساب العيش، مقبول شكل، يرجو حظه فيها، ووضعه كله لا عيب يزعجه...) فجميعها تراكيب وعبارات فقدت



وهجها الشعري من جراء استخدامها وشيوعها بين الناس في حياتهم اليومية، ولم يوفق الشاعر في ضخ الحياة فيها حتى تكتسب أبعاداً جمالية قادرة على التأثير في وجدان المتلقى، وكل الذي استطاعته هو توصيل المعنى الذي قصده لا غير، وبذلك تخرج من دائرة الشعر إلى دائرة النظم البارد والنثر الركيك الخالي من الانفعال والإيحاء والتصوير.

إن حرص العلاف في عدد من قصائده الوطنية على الاقتراب من أبناء وطنه، والوصول إلى أكبر شريحة منهم، صبغها بالتقريرية والمباشرة، لافتقادها جل العناصر التي ينهض عليها الشعر، ويكتسب في ظل توافرها صفته الفنية. وسبب ذلك -كما أرى - تعامله مع اللغة في تلك النصوص على أنها وسيلة لتوصيل أفكاره، أي باعتبارها ذات بعد واحد هو الدلالة على معناها المعجمي أو الاصطلاحي، وأغفل أن الألفاظ ليست رمزاً يشير إلى فكرة ومعنى فحسب، وإنما هي قبل ذلك (نسيح متشعب من صورة ومشاعر أنتجتها التجربة الإنسانية، وبثت في اللفظة فزادت معناها خصباً وحياة....)(109).

وهناك ظواهر لغوية وأسلوبية بدت واضحة للعيان في شعره

الوطني، وهذه الظواهر تتمثل في:

1- التكرار

من الوسائل اللغوية التي جنح إليها الشعراء المعاصرون في التعبير عن تجاربهم الشعورية التكرار. وهذا لا يعني أن الشعراء القدماء لم يفتنوا إليه، بل قد ورد في أساليب كثير منهم، إلا أنه لم يشكل ظاهرة تسترعى الانتباه.

وقد أشار إلى وروده في الشعر العربي القديم بعض النقاد القدماء، كأبي هلال العسكري⁽¹¹⁰⁾ وابن رشيق القيرواني⁽¹¹¹⁾.

وفي العصر الحديث أغرم الشعراء بالتكرار، وكثر وروده في شعرهم، حتى (جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن، عدوا خلالها التكرار في بعض صورته، لونهاً من ألوان التجديد في الشعر)⁽¹¹²⁾ وتبع ذلك الاهتمام من الشعراء بالتكرار اهتمام من بعض النقاد والدارسين فتناولوه محاولين تحري أشكاله ودلالاته، كنازك الملائكة⁽¹¹³⁾ وهلال ناجي⁽¹¹⁴⁾.

وشعر العلاف الوطني حفل بألوان عدة للتكرار، إلا أنها لا تتجاوز التكرار البسيط الذي يدل على إلحاح فكرة ما على ذهنه، وتأكيد عليها بواسطة التكرار.

والتكرار في شعر العلاف الوطني شمل تكرار الحروف، وتكرار الكلمات، وتكرار الصيغ والأدوات.

ونبدأ حديثنا بتكرار الحروف الذي يعد أبسط أنواع التكرار على الإطلاق، وقد استخدمه العلاف لخدمة بعض أغراض القصيدة وأفكارها. ومن نماذج تكراره بعض الحروف، ما جاء في قوله (115):

وَيْحَ نَفْسِي مَتَى أَرَاهَا تَزَيَّتْ
بِاِكْتِفَاءِ يَحْفُهُ التَّصْدِيرُ
وَاسْتِحَالَ الْفِرَاغُ مِنْهَا امْتِلَاءً
وَكَسَاهَا بِحُسْنِهِ التَّعْمِيرُ
وَاسْتَقَامَتِ مَسَالِكُ وَ مُرُورُ
وَتَرَامَى بِظِلِّهِ التَّشْجِيرُ
وَغَدَا الْقَمَرُ مَشْبَعًا بِاخْضِرَارِ
خَالَفَ بَعْضُهُ رَوَاهُ النَّمِيرُ
وَالْمَوَاشِي تَزِينُهُ مُطْلَقَاتِ
فِي مَرَاعٍ مَتَاعَهَا إِكْسِيرُ
وَجِبَالُ السَّرَاةِ تَبَرُّ وَزَيْكُ
وَحَدِيدُ يَشُوبُهُ الْقِصْدِيرُ
وَكَنُوزُ خَفِيَّةٍ حَاضِنَتَهَا
بَاعْتِزَازِ مِصَانِعِ لَا تَبُورُ
تَوَجَّتْهَا مَصَائِفُ وَرِيَاضُ
تَتَغَنَّى عَلَى رُؤَاهَا الطُّيُورُ

فقد تكرر حرف العطف (الواو) في هذه الأبيات ثلاثة عشر مرة، ولهذا التكرار ما يسوغه، فالشاعر يطمح إلى تحقيق نهضة شاملة تضع وطنه جنباً إلى جنب مع الأوطان التي سبقته أشواطاً طوالاً في طريق التقدم والنهوض، وتكفل للمنتمين إليه حياة حافلة بالاستقرار والرخاء والراحة. وقد أتاح له تكرر حرف العطف (الواو) حشد كثير من المشاريع التنموية التي يفتقر إليها الوطن، ويتوافرها مجتمعة يكون قد خطا خطوات واسعة في طريقه نحو التقدم والنهوض.

والأبيات السابقة حملت في حناياها حب العلاف لوطنه وحرصه على نهضته وتقدمه، ومعرفته بالخيرات الوفيرة التي تكتنزها أراضيه، والتي بمقدورها - متى ما استثمرت - تحقيق كل ما يطمح إليه الوطن و المواطن.

ويكرر عدداً من الحروف في قصيدته (أم القرى) (116):

اخْتَرْتُ مَكَّةَ وَاَرْتَضَيْتُ حِمَاها

هي مَوْلدي هي مَنْشأى أهواها

أَكْرِمُ بها وِبَارِضِها وِسَمَائِها

وِبِماءِ زَمَزَمَ نَاجِعاً غَدَّها

وَبِما اصْطَفَتْ مِنْ قِبَلِ مَيْمُونَةَ

جَدَبَتْ قُلُوباً حَوَّلَها وِجِبَها

فالعلاف في البيتين الأخيرين كرر حرف الجر (الباء) أربع مرات، وهذا التكرار قد سهل للشاعر استيفاء جميع الأشياء التي مكنت هوى مكة المكرمة من التغلغل في حناياها، وجعلتها أثيرة عنده، بحيث لا يرى ولا يعشق سواها.

ومن التكرار في شعر العلاف الوطني تكراره لكلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متوالية وغير متوالية في قصيدة واحدة. ومن نماذج ذلك ما جاء في قوله من قصيدته (عودة المجد) (117):

شِبْهِ الْجَزِيرَةِ صَحَّتْ مِنْكَ أَحْلَامُ
تَفَاءَلَ الْعُرْبُ، بَلَّ وَاعْتَزَّ إِسْلَامُ
بُشْرَاكِ مُسْتَقْبَلٌ قَدْ هَبَّ حَاضِرُهُ
يُصْبِيهِ عَزْمٌ وَتَخَطِيطٌ وَإِقْدَامُ
بُشْرَاكِ تَعْبِيَّةٌ بُشْرَاكِ تَتْمِيَّةٌ
جُرْدُ الصَّحَارِيِّ بِهَا زَرَعٌ وَأَنْعَامُ
بُشْرَاكِ لِلْبَحْرِ تَكْرِيرٌ وَغَلْفَلَةٌ
إِلَى كُنُوزِ عَلَيْهَا الْعِلْمُ نَمَامُ
بُشْرَاكِ أَنْدِيَّةٌ لَدَّتْ مَبَاهِجَهَا
رَاجَتْ مَنَاهِجَهَا وَامْتَدَّ إِعْلَامُ
بُشْرَاكِ دُورٌ وَسَاحَاتٌ مُشَجَّرَةٌ
وَقَدْ تَبَيَّتَ لِلْحَرَمَانِ إِعْدَامُ

بُشْرَاكِ فِي طَرَقِ شَتَّى مَعْبِدَةٍ
هِيَ الشَّرَايِينُ وَالْوُدْيَانُ أَرْحَامُ

فالشاعر في هذه الأبيات كرر كلمة (بشراك) سبع مرات، وقد كررها في ثلاثة أبيات متوالية، ثم عاد ليكررها بعد فاصل من الأبيات، وفي كل مرة يتبعها بأحد المشاريع التنموية والصروح الحضارية التي أخذت في الظهور على أراضي وطنه.

وهو من خلال هذا التكرار يهنئ وطنه الذي انتظر كثيراً رؤية مثل هذه الصروح الحضارية تزين أراضيه، وتنتشر الرخاء فيه.

وقد أتاح له تكرار كلمة (بشراك) تجسيد مظاهر النهضة التي يعيشها وطنه مظهراً مظهراً، حتى يسلم بها من كان يرى تحقيقها مستحيلاً، والتعبير عن الفرحة والسعادة التي أشاعتها في عالمه تلك المشاريع والإنجازات المتعددة.

ويكرر الفعل (أرى) مسبقاً ب (واو) العطف خمس مرات في ثلاثة أبيات متوالية، في قوله (118):

إِنِّي أَرَى أَرْضَ الْجَزِيرَةِ ضَاعَفَتْ
عُلْيَا الْمَدَاخِنِ وَالْمَعَادِنِ تُصَهَّرُ
وَأَرَى الثَّقِيلَ مِنَ الصَّنَاعَةِ مُرَدِّفًا
بِخَفِيفِهَا وَ أَرَى السَّلَاحَ يُزَمِّجِرُ



وَأَرَى الصَّوَارِيخَ الْعِظَامَ تَفَاوَتَتْ
أَبْعَادُهَا وَأَرَى الْكَوَاكِبَ تُفْمَرُ

فتكرار الفعل (أرى) فيه تأكيد للنهوض و التقدم الذي يشهده
وطنه في مختلف الميادين و المجالات، وفيه استشراف لما يحمله
الغد في حناياه لهذا الوطن الذي يغذ السير نحو المعالي. وقد مكنه
هذا التكرار من تجسيد ما يراه ماثلاً أمام عينيه من صروح
حضارية - تنموية و أمنية - ينعم بها وطنه والمنتمون إليه .

إن نماذج تكرار الكلمة - اسماً كانت أو فعلاً - في وطنيات
العلاف كثيرة ولا يمكن إثباتها جميعاً، لذلك نكتفي منها
بالنموذجين السابقين على سبيل المثال لا الحصر (119).

ويحرص العلاف في شعره الوطني على تكرار بعض الصيغ
و الأدوات، ومن نماذج ذلك ما جاء في قوله (120):

وَيَحْ نَفْسِي مَتَى أَرَاكَ حَفِيًّا
بُنْبُوعٍ يُكْنُ أَسْنَى الْهَبَاتِ
وَمَتَى الْفَنُّ وَالْعُلُومُ جَمِيعاً
تَتَلَقَّى عَدَالَةَ اللَّفْتَاتِ
وَمَتَى الْمَكْتَبَاتُ تُبْنَى وَتَغْنَى
بُتْرَاتٍ يُشْبِعُ خَيْرَ الصِّفَاتِ

ومتى تَسْمُقُ المِداخِنُ شَتَّى
كَبِنَانٍ تُشِيرُ لِلنَّهَضَاتِ
ومتى تُكْمَشُ الكِسَالَةُ و العَجْزُ
زُ و تَمُو أَصَائِلُ القُدْرَاتِ
ومتى تَلْتَقِي الجَمَاعَةُ و الفِرْ
دُ لِقَاءَ مُوَحَّدِ الغَايَاتِ
ومتى تَكْثُرُ النَّزَاهَةُ و الصِّدِّ
قُ و تَسْخُو عَوَاطِفُ التَّضْحِيَاتِ
ومتى يَسْعُدُ الصِّغَارُ ببيتِ
يَتَحَلَّى بِحِكمَةِ الأُمّهَاتِ
ومتى تُقْصِحُ الرِّبُوعُ جَمَالاً
و نِظَاماً مُضَاعَفَ الحِسنَاتِ
ومتى يَصْبِحُ الفِرَاعُ رَبِيعاً
يُخْصِبُ النَّفْسَ سَاحِرَ اللِّمْسَاتِ
يَتَحَدَّى المِلالَ و الضَّيِّقَ مُدّاً
و يُنْجِي الشَّبَابَ مِن عِثْرَاتِ

فالعلاف هنا كرر أداة الاستفهام (متى) عشر مرات، متبعاً
إياها في كل مرة بأمنية أو بمجموعة من الأمنيات التي يطمح
إلى رؤيتها وقد تحققت في وطنه، وقد تنوعت تلك الأمنيات ما
بين مادية و معنوية، وفي الوقت نفسه يوحي تكراره ذلك



بالحالة التي كان عليها وطنه، والصورة التي يتمنى أن يراه وقد سما إليها .

والذي لاشك فيه أن تكرار الشاعر لأداة الاستفهام (متى) و التي خرجت عن معناها الأصلي لتفيد الاستبطاء قد ساعد العلاف على تلمس احتياجات وطنه و إبرازها، ووسع له دائرة التناول، ومكنه من لفت الأنظار إلى بعض العلل والأدواء التي تنخر في جسده، وجسد قوة وصدق عاطفته الوطنية المتأججة وسعيها الدؤوب إلى خير الوطن وتقدمه و ازدهاره⁽¹²¹⁾.

إن نماذج تكرار الصيغ و الأدوات في شعر العلاف الوطني كثيرة، وفي هذا النموذج الذي قدمناه ما يغني عن استعراضها جميعاً⁽¹²²⁾.

2- الاستفهام

من الأساليب التي كثر ورودها في شعر العلاف الوطني أسلوب الاستفهام، وكثيراً ما يخرج الاستفهام عنده عن معناه الحقيقي: معنى الاستخبار أو طلب العلم بشيء مجهول، إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق الذي وردت فيه .

وأكثر المعاني التي خرج إليها هذا الأسلوب في شعر العلاف الوطني تتمثل في: التعجب، والإنكار، والتوبيخ، والتمني، والاستبطاء .

والناظر في هذا الأسلوب في الشعر الذي درسناه يجده يتجلى في البيت والبيتين و الثلاثة في بعض القصائد، و قليلاً ما يسيطر على معظم أبيات قصيدة كاملة .

وقد نوع العلاف في استخدامه أدوات الاستفهام، وتبع ذلك تنوع في اتجاهاته الاستفهامية، عدا أبيات قليلة تظهر في بعض قصائده الوطنية لم تتنوع فيها الأداة. وهذا النوع قد يشعر معه المتلقي بشيءٍ من الرتابة، إلا أنها سرعان ما تزول عند القارئ المتأمل، الذي سيقف على مرامي الشاعر البعيدة من وراء تكرار إحدى الأدوات دون إحداث تغيير فيها .

ومن نماذج تنويعه لأداة الاستفهام في بعض قصائده، ما جاء في قوله منتقداً داء الكبر ممثلاً في أحد المتصفين به (123) :

أَعْلَمْتَ أَصْلَكَ مِنْ تُرَابٍ أَبْخَرَا
أَعْرِفْتَ بِذِكِّ كَيْفٍ فِيهِ تَطَوَّرَا؟
أَشْهَدْتَ أَنَّ الْعَجْزَ فِيكَ بَدَائِعُ
وَنَهَائِعُ وَ الضَّعْفُ لَفَّكَ مَحْوَرَا؟
فِيمَ الْغُرُورِ إِذْنٌ وَفِيمَ تَطَاوُلُ
أَظَنَنْتَ أَنَّ الْحَقَّ أَيْضاً سُخَّرَا؟

فالعلاف في هذه الأبيات نوع في أدوات الاستفهام، فاستخدم (الهمزة) و (كيف) و (ما) الاستفهامية .



وقد خرج الاستفهام هنا عن معناه الأصلي (الاستخبار) ليفيد في البيتين الأولين الإنكار والتوبيخ لذلك الإنسان على سلوكه الشاذ وغير السوي. وفي البيت الأخير خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد التعجب من ظهور ذلك الإنسان بذلك المظهر رغم معرفته بحقيقته التي لا يستطيع دفعها ولا نكرانها في صدر البيت، والتهكم والسخرية في عجزه.

وقد عكس الاستفهام في هذه الأبيات نزعة الشاعر إلى الإصلاح والتوجيه ورسم معالم الطريق السوي لأبناء وطنه حتى يسلكوه؛ درءاً للأثار السلبية التي ستترتب على استئثار ذلك الداء في الوطن.

ويقول في نموذج آخر (124):

فِيمَ البقاءِ على الرُّكُودِ نطيقه

و إلامَ عَيْشُ الخاملينِ إلاما؟

كيف السَّبيلُ إلى النهوضِ وشأننا

حَجَزُ النُّقُودِ نَرُصُّها أكواما؟

أو كيف يَرَجى أن يعيشَ مُعزَّزاً

من ليس يرفعُ للمصانعِ هَاما؟

ما بَزنا الغربُ الفتىُ بئاسه

لولا الصناعاتُ لم يكن مقداما

رُوَادُهُ قَدْرَاؤُهُ وَرَعَاتُهُ

لَمْ يَرْهَقِ الرُّؤْسَاءَ وَ الْحُكَّامَا

فَمَتَى يُسَلِّمُ بِالْحَقِيقَةِ ذَاهِلٌ

مُتَمَكِّنٌ يُزَجِّي الْبِلَادَ أَمَامَا؟

فالتتويج في الأدوات الاستفهامية هنا ظاهر، فهناك (ما) الاستفهامية، و (كيف) و (متى). والشاعر من وراء الاستفهام الذي احتشدت به الأبيات السابقة، يتعجب من قعود الأثرياء من أبناء وطنه عن المشاركة الفاعلة بأموالهم في النهوض بوطنهم، وينكر عليهم ذلك. في الوقت الذي استطاع فيه الغرب أن ينهض ويتقدم، لا بفضل قاداته وحكامه فحسب، وإنما بجهود الأثرياء من رجالاته.

ويقول في نموذج آخر (125):

أَيْنَ مِنْكَ الْحَيَاةُ دَقَّتْ شُمُولًا

وَتَرَامَتْ وَثِيقَةَ الْحَلَقَاتِ؟

فالاستفهام خرج عن معناه الأصلي في هذا البيت ليفيد

التمني.

وفي قصيدته (رؤى المستقبل) (126) نقف على استخدامه لأداة

الاستفهام (متى)، وقد تكررت عشر مرات. وقد خرج الاستفهام

فيها عن معناه الأصلي ليفيد الاستبطاء.



3- الأمر

من الأساليب التي كان لها حضور واسع في شعر العلاف الوطني أسلوب الأمر، ونماذج هذا الأسلوب العديدة تكشف عن حرص العلاف على التنوع في أساليب خطابه الشعري، وبث الحيوية في أوصال قصائده، وعن استخدامه له لدواعٍ بلاغية وليس في معناه الحقيقي: طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء.

وقد تنوع موقع هذا الأسلوب في قصائد العلاف الوطنية، فتارة يأتي في مطلع القصيدة، وتارة يأتي في وسطها. فهو عندما ينفعل بالتجربة وتمتلئ نفسه بها، يسقط كل الحواجز التي تقف بينه وبين المتلقي، من مقدمة وتمهيد، ويباشر بوحه، ويأتي به في وسط القصيدة لإثارة المتلقي وتبنيه، دفعا للرتابة والسأم الذي قد يجتاحه من جراء تواتر أسلوب واحد دون إحداث تغيير فيه.

والناظر في أسلوب الأمر الذي توافر في هذه الدراسة، يجد أن معظمه قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية تفهم من السياق الذي ترد فيه. ومن نماذج اتكائه على هذا الأسلوب، ماجاء في قوله (127):

فَمَّ وَحَلَّقَ مُجَنِّحَ الْعَزَمَاتِ

وَتَعَشَّقَ هَزِيمَةَ الْعَقَبَاتِ

وَتَخَيَّرَ مِنَ الْحَضَارَةِ لُبًّا

عَبْقَرِيًّا مُنَوَّعَ الثَّمَرَاتِ

حَكْمُ الدِّينِ وَ التَّجَارِبَ قَبْلًا

و تَشَبَّثَ بِمَنْطِقٍ وَ أَنَاةٍ

فالعلاف في هذه الأبيات قد استخدم أكثر من صيغة للأمر، فهناك (فُمْ) و(حَلَّقْ) و(تَعَشَّقْ) و(تَخَيَّرْ) و(حَكِّمْ) و(تَشَبَّثْ)، و جميعها خرج فيها الأمر إلى النصح و الإرشاد و استنهاض همم أبناء الوطن للمشاركة الفاعلة في الارتقاء بوطنهم و النهوض به، على أسس من صالح القديم، و ما توصل إليه العلم في العصر الحديث ولا يتعارض مع الدين، الذي هو الدعامة الأساس التي يعتمد عليها الوطن في طريقه نحو المجد والرفعة.

وفي نموذج آخر يقول مخاطباً شباب وطنه (128):

لَا تَهْدِرُوا الْوَقْتَ وَارْعُوا حَقَّ حُرْمَتِهِ
فَعَصْرُكُمْ سُرْعَةٌ وَ الْبَطْءُ خِذْلَانُ
لْتُسْأَلَنَّ عَنِ الْأَيَّامِ مُدْبِرَةٌ
مَتَى احْتَوَاكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَيِّدَانُ
فَاسْتَمِرُّوا الْجِدَّ وَاسْتَوْحُوا مَوَاهِبَكُمْ
فَإِنَّ إِعْفَاءَهَا ظُلْمٌ وَ خُسْرَانُ
وَ لَتَتَّقُوا الْعُجْبَ وَ التَّوْفِيقُ رَائِدُكُمْ
مَا لِلغُرُورِ عَلَى الْأَمَالِ سُلْطَانُ

فالأبيات التي أمامنا تحتشد بعدد من صيغ الأمر، مثل: (ارعوا) و (لتسألن) و (فاستمروا) و (استوحوا) و (لتتقوا) و قد

خرج الأمر فيها إلى معاني النصح، والإرشاد، والحث، والتوجيه،
ورسم معالم الطريق السوي لأبناء وطنه.

وقد عكست صيغ الأمر السابقة حرص الشاعر على شباب
وطنه، وإيمانه بقدرتهم على الوصول بوطنهم إلى أقصى ما يطمح
إليه، متى ما نجحوا في استثمار أوقاتهم وطاقاتهم.

وفي قصيدته (السلوك الأعوج) نقف على طائفة من صيغ
الأمر في توجيهه لأحد المنتمين لوطنه⁽¹²⁹⁾:

أخي إِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْظَى
بِسَهْمٍ فِي ارْتِقَاءَاتِ
فَصَانِعٍ وَابْتِغِ الزُّلْفَى
بِتَكَرُّرِ الزِّيَارَاتِ
وَأَغْمِضْ عَيْنَكَ الْيُسْرَى
لَأَخْطَاءٍ وَنَزَوَاتِ
وَكُنْ نَايَأً مَخَارِجُهُ
مَعَاذِفُ لِدَعَايَاتِ
وَكُنْ فِي الْحَقِّ مُقْتَصِداً
وَمُفْتَاباً وَإِمْعَةً
تُصَفِّقُ لِلْحَمَاقَاتِ

فالعلاف أورد في هذه الأبيات عدداً من صيغ الأمر، (صانِع) و (ابتغ) و(أغمض) و (كن). وقد خرجت هذه الصيغ عن معناها الأصلي لتفيد النصح و الإرشاد، الذي يحمل في حناياه معاني التهكم والسخرية من الحالة التي وصل إليها المجتمع في ظل تفشي داء المحاباة، الذي ترتب عليه حرمان الأكفاء والناهبين من أبناء الوطن من أبسط حقوقهم في الدوائر التي يعملون بها، و منحها لمن لا يستحقها، ممن لا يجيدون إلا التملق و المداهنة والتدليس.

والعلاف عندما يهتم بتجسيد مثل هذه السلوكيات الخاطئة، فإنه يسعى إلى استئصالها، لمعرفة الأكيدة بخطورها الكبير الذي سيتجاوز الأفراد إلى الوطن و مصالح المنتمين إليه.

ومن المعاني التي خرج إليها أسلوب الأمر في شعر العلاف الوطني، الطلب، ويظهر ذلك في قوله مخاطباً الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - (130):-

فَانْهَضْ بِمَسْئُولِيَةِ آتَاكَهَا
وَعَلَيْكَ فِي نَشْرِ التُّرَاثِ مُعَوَّلٌ
وَارِعِ النُّبُوغَ وَ أَعْطِهِ مَيْدَانَهُ
فَهُوَ الطَّلِيْعَةُ وَالرُّكَازُ الْأَوَّلُ

فالصيغ: (فانفض) و (عليك) و (ارع) و (أعطه) خرج فيها الأمر إلى الطلب لأن الشاعر يخاطب فيها من هو أعلى منه مكانة ومنزلة.